الطُّغرائي

(٤٥٥هـ ـــ ٥١٣هـ)
(١٠٦٣م ـــ ١١٢٠م)

هو الحسين بن علي بن عبد الصمد المشهور بالطغرائي، يكنى أبا اسماعيل ويلقب مؤيد الدين، وينعت بالأستاذ. ولد من أسرة عربية تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي، في «جَيّ» من أعمال «أصبهان».

والطغرائي: بضم الطاء المهملة وسكون العين المعجمة وفتح الراء، نسبة إلى من يكتب الطغرا، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن نعوت الملك وألقابه، وهي لفظة أعجمية.

عاش الطغرائي في ظل الدولة السلجوقية، واشتغل في ديوان الإنشاء، وتقلّب في مناصب الكتابة حتى تولى رئاسة الديوان، ثم عزل عنه في عام ٥٠٥، والظاهر أن عزله هذا أثّر في نفسه أثراً كبيراً وهو الذي كان يطمح إلى أعلى من هذا المنصب، فنظم قصيدته اللامية هذه معبراً عن آلامه من العزل وعطله من العمل.

وعاد الطغرائي إلى الديوان وتولى الوزارة في عهد السلطان مسعود بن محمد السلجوقي، ونشبت الحرب بين السلطان مسعود وأخيه السلطان محمود فانتصر محمود وأوعز إلى من أشاع رميه بالزندقة، فأرجف الناس بذلك، واتخذ محمود الشائعة الفاشية حجة، وقبض على الطغرائي وزير مسعود وقتله.

لامية العجم

١ - أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَلِ ... وَحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى العَطَلِ

٢ - مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعٌ ... وَالشَّمْسُ، رَأْدَ الضُّحَى، كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَلِ

٣ - فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ، لَا سَكَنِي ... بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي ؟

٤ - نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ، صِفْرُ الكَفِّ مُنْفَرِدٌ ... كَالسَّيْفِ، عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ الخَلَلِ

٥ - فَلَا صَدِيقَ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي ... وَلَا أَنِيسَ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي

٦ - طَالَ اغْتِرَابِيَ حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي ... وَرَحْلُهَا، وَقَرَى العَسَّالَةِ الذُّبُلِ

٧ - وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي، وَعَجَّ لِمَا ... يَلْقَى رِكَابِي، وَلَجَّ الرَّكْبُ فِي عَذَلِي

٨ - أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا ... عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلَى قِبَلِي

٩ - وَالدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي، وَيُقْنِعُنِي ... مِنَ الغَنِيمَةِ بَعْدَ الكَدِّ بِالقَفَلِ



١٠ - وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِلٍ ... بِمِثْلِهِ، غَيْرِ هَيَّابٍ وَلَا وَكَلِ

١١ - حُلْوِ الفُكَاهَةِ، مُرِّ الجِدِّ، قَدْ مُزِجَتْ ... بِقَسْوَةِ البَأْسِ مِنْهُ رِقَّةُ الغَزَلِ

١٢ - طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عَنْ وِرْدِ مُقْلَتِهِ ... وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالمُقَلِ

١٣ - وَالرَّكْبُ مِيلٌ عَلَى الأَكْوَارِ مِنْ طَرَبٍ ... صَاحٍ وَآخَرَ مِنْ خَمْرِ الكَرَى ثَمِلِ

١٤ - فَقُلْتُ : أَدْعُوكَ لِلجُلَّى لِتَنصُرَنِي وَأَنتَ تَخْذُلُنِي فِي الحَادِثِ الجَلَلِ

١٥ - تَنَامُ عَنِّي ، وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ ، وَصِبْغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ

١٦ - فَهَلْ تُعِينُ عَلَى غَيٍّ هَمَمْتُ بِهِ وَالغَيُّ يَزْجُرُ أَحْيَانًا عَنِ الفَشَلِ

١٧ - إِنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الحَيِّ مِنْ «إِضَمٍ» وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِي ثُعَلِ

١٨ - يَحْمُونَ بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ بِهِ سُودَ الغَدَائِرِ ، حُمْرَ الحَلْيِ وَالحُلَلِ

١٩ - فَسِرْ بِنَا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا فَنَفْحَةُ الطِّيبِ تَهْدِينَا إِلَى الحِلَلِ

٢٠ - فَالحِبُّ حَيْثُ العِدَا ، وَالأُسْدُ رَابِضَةٌ حَوْلَ الكِنَاسِ لَهَا غَابٌ مِنَ الأَسَلِ

٢١ - نَؤُمُّ نَاشِئَةً بِالجِزْعِ ، قَدْ سُقِيَتْ نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الغُنْجِ وَالكَحَلِ

٢٢ - قَدْ زَادَ طِيبَ أَحَادِيثِ الكِرَامِ بِهَا مَا بِالكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخَلِ

٢٣ - تَبِيتُ نَارُ الهَوَى مِنْهُنَّ فِي كَبِدٍ حَرَّى ، وَنَارُ القِرَى مِنْهُمْ عَلَى القُلَلِ

٢٤ - يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ لَا حَرَاكَ بِهِمْ وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الخَيْلِ وَالإِبِلِ

٢٥ - يُشْفَى لَدِيغُ العَوَالِي فِي بُيُوتِهِمُ بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الخَمْرِ وَالعَسَلِ

٢٦ - لَعَلَّ إِلْمَامَةً بِالجِزْعِ ثَانِيَةً يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ البُرْءِ فِي عِلَلِي

٢٧ - لَا أَكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ قَدْ شُفِعَتْ بِرَشْقَةٍ مِنْ نِبَالِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

٢٨ - وَلَا أَهَابُ الصِّفَاحَ البِيضَ تُسْعِدُنِي بِاللَّمْحِ مِنْ خَلَلِ الأَسْتَارِ وَالكِلَلِ

٢٩ - وَلَا أُخِلُّ بِغِزْلَانٍ تُغَازِلُنِي وَلَوْ دَهَتْنِي أُسُودُ الغِيلِ بِالغِيَلِ

٣٠ - حُبُّ السَّلامَةِ يَثْني عَزْمَ صاحِبِهِ … عَنِ المَعالي، وَيُغْري المرءَ بالكَسَلِ

٣١ - فَإنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا … في الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا في الجَوِّ فَاعْتَزِلِ

٣٢ - وَدَعْ غِمارَ العُلى للمُقْدِمينَ عَلى … رُكوبِها، وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بالبَلَلِ

٣٣ - رِضَى الذَّليلِ بخَفْضِ العَيْشِ مَسْكَنَةٌ … وَالعِزُّ عِنْدَ رَسيمِ الأَيْنُقِ الذُّلُلِ

٣٤ - فَادْرَأْ بِها في نُحُورِ البيدِ جافِلَةً … مُعارِضاتٍ مَثاني اللُّجْمِ بالجُدُلِ

٣٥ - إِنَّ العُلى حَدَّثَتْني وَهْيَ صادِقَةٌ … فيما تُحَدِّثُ أَنَّ العِزَّ في النُّقَلِ

٣٦ - لَوْ أَنَّ في شَرَفِ المَأْوى بُلوغَ مُنًى … لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دارَةَ الحَمَلِ

٣٧ - أَهَبْتُ بالحَظِّ لَوْ نادَيْتُ مُسْتَمِعًا … وَالحَظُّ عَنِّيَ بالجُهّالِ في شُغُلِ

٣٨ - لَعَلَّهُ إِنْ بَدا فَضْلي وَنَقْصُهُمُ … لِعَيْنِهِ، نامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لي

٣٩ - أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمالِ أَرْقُبُها … ما أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلا فُسْحَةُ الأَمَلِ

٤٠ - لَمْ أَرْتَضِ العَيْشَ وَالأَيّامُ مُقْبِلَةٌ … فَكَيْفَ أَرْضى وَقَدْ وَلَّتْ عَلى عَجَلِ

٤١ - غالى بِنَفْسِيَ عِرْفاني بِقيمَتِها … فَصُنْتُها عَنْ رَخيصِ القَدْرِ مُبْتَذَلِ

٤٢ - وَعادَةُ النَّصْلِ أَنْ يُزْهى بِجَوْهَرِهِ … وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلّا في يَدَيْ بَطَلِ

٤٣ - ما كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بي زَمَني … حَتّى أَرى دَوْلَةَ الأَوْغادِ وَالسِّفَلِ

٤٤ - تَقَدَّمَتْني أُناسٌ كانَ شَوْطُهُمُ … وَراءَ خَطْوِيَ، لَوْ أَمْشي عَلى مَهَلِ

٤٥ - هٰذا جَزاءُ امْرِئٍ أَقْرانُهُ دَرَجوا … مِنْ قَبْلِهِ، فَتَمَنّى فُسْحَةَ الأَجَلِ

٤٦ - وَإنْ عَـلاَنيَ مَنْ دُونِي فَلاَ عَجَبٌ   لِي أُسْوَة بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

٤٧ - فَاصْبِرْ لَهَا ، غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلاَ ضَجِرٍ   فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْـنِي عَنِ الحِيَلِ



٤٨ - أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ   فَحَاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ

٤٩ - وَإنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَـا وَوَاحِدُهَـا   مَنْ لاَ يُعَوِّلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ

٥٠ - وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالأيَّـامِ مَعْجَـزَةٌ   فَظُنَّ شَـرًّا وَكُنْ مِنْهَـا عَلَى وَجَلِ

٥١ - غَاضَ الوَفَاءُ ، وَفَاضَ الغَدْرُ وَانْفَرَجَتْ   مَسَافَةُ الخُلْفِ بَيْنَ القَوْلِ وَالعَمَلِ

٥٢ - وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كِذْبُهُمُ   وَهَلْ يُطَابَقُ مُعْـوَجٌّ بِمُعْتَـدِلِ

٥٣ - إنْ كَانَ يَنْجَـعُ شَيْءٌ فِـي ثَبَاتِهِمُ   عَلَى العُهُودِ ، فَسَبْقُ السَّيْفِ لِلعَذَلِ



٥٤ - يَا وَارِدًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُـلُّهُ كَـدَرٌ   أَنْفَقْتَ صَفْوَكَ فِي أَيَّـامِكَ الأُوَلِ

٥٥ - فِيمَ اقْتِحَامُكَ لُجَّ البَحْـرِ تَرْكَبُهُ   وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الوَشَلِ ؟

٥٦ - مُلْكُ القَنَاعَةِ لاَ يُخْشَى عَلَيْـهِ وَلاَ   يُحْتَاجُ فِيـهِ إلَى الأَنْصَارِ وَالخَوَلِ

٥٧ - تَرْجُو البَقَـاءَ بِدَارٍ لاَ ثَبَاتَ لَهَـا   فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِـلٍّ غَـيْرِ مُنْتَقِلِ ؟

٥٨ - وَيَا خَبِـيرًا ، عَلَى الأَسْرَارِ مُطَّلِعًا   أُصْمُتْ ، فَفِي الصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ الزَّلَلِ -

٥٩ - قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْـتَ لَهُ   فَارْبَأْ بِنَفْسِـكَ أَنْ تَـرْعَى مَعَ الهَمَلِ

شرح الكلمات :

١ ـــ الخطل : الخطأ ، والهراء والكلام الفاسد . العطل : فقدان الزينة .

٢ ـــ شَرَعٌ : متساويان . الرأدُ : رونق الضحى ، وارتفاع النهار . الطَّفَلُ : دنوّ الشمس للمغيب .

٣ ـــ الزوراء : بغداد ، سميت بذلك لانحراف قبلتها .

٤ ـــ صِفْرُ الكفّ : خاليها ، فقير . الخِلّةُ : غمد السَّيْفِ المُغَشّى بالجلد ويكون منقوشاً بالذهب وغيره ج خِلَلٌ وخِلالٌ .

٥ ـــ الجذل : السرور .

٦ ـــ الراحلة : الناقة أو الجمل يوضع عليه الرّحل وهو كسرج الفرس . القرا : الظهر ولعله يريد القَرْو وهو الطعن . العسّالة : الرماح التي تهتز متلوّية بأكف حامليها . الذُّبُل : الذابلة اليابسة المتينية .

٧ ـــ الضجيج : الصّياح . اللغب : التعب . النضو : الجمل الهزيل . العجيج : الضجيج والصياح . الرِّكاب : النوق واحدتها راحلة . لجّ : ألَحّ . الرَّكْبُ : الراكبون . العَذَلُ : اللوم .

٨ ـــ بسطة الكفّ : الغنى ، والكرم . حقوق العُلى : ما يتطلبه منه المجد . قِبَلِي : عندي .

٩ ـــ القَفَلُ : القُفولُ ، الرجوع .

١٠ ـــ الشُّطاط :الطول وحسن القوام . صَدْرُ الرُّمح : مُقَدَّمُهُ وسنانه . اعتقل الرمح : وضعه بين فخذه وبين جنب فرسه . الوَكَلُ : العاجز يتكل على غيره .

١٢ ـــ السَّرح : الإبل والغنم السارحة في المرعى ، شبّه بها هجمات النوم على عينيه . والوِرْدُ : ورود الماء للشرب . السّوام : الإبل الراعية ، شبه النوم بها .

١٣ ـــ مِيلٌ : مائلون الواحد أميل . الأكوار : الواحد كُوْرٌ وهو رحل البعير بأداته . ثمل : سكران .

١٤ ـــ الجلّى : العظمى . والجلل : الحقير والعظيم (ضد) . وخذله : لم ينصره .

١٥ ـــ تستحيل : تتغير من حال إلى حال . لم يَحلُ لونُهُ : لم يتغيّر .

١٦ ـــ الغيّ : الضلال . الفشل : الكسل والضّعف والجبن .

١٧ ـــ طرق الحيّ : جاءه ليلاً . إضم : واد يشق الحجاز حتى يصب في البحر ، وماء بين مكة واليمامة . ثعل : أبو حيّ من طيّئ شهروا بالرّماية ، والثّعَل : الثعلبة .

١٨ ـــ البيض : السيوف ، السّمر : الرماح . اللّدان : المرنة الليّنة . حُمَر الحلي : لأنها من الذهب والياقوت . والحُلل : الثياب واحدتها حُلّة وتستر البدن كلّه .

١٩ ـــ متعسفاً : سائراً على غير هدى بعد أن ترك الطريق . الحِلَلُ : المنازل الواحدة حِلّة ، والحِلّة : مجموعة من البيوت .

٢٠ ـــ الحِبُّ : الحبيب . رابضة : مقيمة ، مقعية . الكناس : بيت الظبي . الأسل : الرماح . الغابة : الأجمة ج غاب وغابات وتكون من القصب .

٢١ ـــ الناشئة : الشابّة . الجِزْعُ : محلة القوم . نصالها : سهام عينيها : الكَحَلُ : سواد العينين .

٢٢ ـــ الكرائم : جمع كريمة وهي مؤنث كريم ، والعَيْنُ ، وكل ما يكون حبيباً إلى قلب صاحبه . البَخَلُ : البُخْلُ بالوصال .

٢٣ ـــ القِرى : إطعام الضيف . القلل : رؤوس الجبال ليراها السارون .

٢٤ ـــ الأنضاء : جمع نضو وهو الهزيل .

٢٥ ـــ العوالي : الرماح يريد قتيل الحبّ . غدير الخمر والعسل : يريد ريق الحبيبة .

٢٦ ـــ إلمامة : زيارةً أو نزولاً .

٢٧ ـــ شُغِفَت : ثُنِيَتْ . الرَّشقة : الرَّمْيَة . النُّجْل : الواسعة الواحدة نجلاء .

٢٨ ـــ الصّفاح : السيوف ، أي إذا ظفرت برؤية الحبيبة فلا أهاب السيوف . الكِلَل : ستور المضاجع .

٢٩ ـــ أخلَّ به : أساء إليه . الغِيلُ : الأجمة وموضع الأسد والغِيَل جمع غيلة أي الاغتيال . لعلها جمع غِيلة وهي القتل من غير أن يبصر المقتول قاتله .

٣٠ــ جنح إليه: مال.
٣٢ــ الغمار: المياه الكثيرة المفرد غَمْرٌ، شبه العلى بالبحر.
٣٣ــ خفض العيش: سهولته ولينه. المَسْكَنَةُ: الذُّلّ. الرسيم: سير للإبل فيه سرعة. الأنيق: النوق الذُّلُل: المدرّبة على الركوب.
٣٤ــ درأ: دفع. نحورُ البيد: صُدورها. جافلة: سريعة. معارضات: مباريات. المثاني: الأعنة وهي للخيل. الجُدُل: جمع جديل وهو الزمام المجدول من أَدَمٍ وهي للإبل. يريد أنها تسابق الخيول.
٣٥ــ فيما تحدث: أي من خلال أحاديثها.
٣٦ــ دارة الحمل: برج الحمل وهو أول البروج.
٣٧ــ أهاب به: دعاه.
٣٨ــ يريد أنه ربما واتاه الحظّ عندما يظهر فضله على الجهّال.
٣٩ــ أرقبها: انتظر تحقيقها.
٤٠ــ الأيام مقبلة: أي العيش سعيد، أيام الشباب.
٤١ــ غالى بالشيء: بالغ في تقدير قيمته.
٤٢ــ الجوهر: المعدن.
٤٤ــ الشّوط: الغاية والمسافة التي يقطعونها. يريد لو أسرعوا لسبقتهم متمهلاً.
٤٥ــ درجوا: ماتوا.
٤٦ــ لي أسوة: أي قدوة.
٤٧ــ لها: أي لدولة الأوغاد. ضَجِرَ: تبرّم وقلق وساء خلقه. حادث الدهر: يريد حادثةً تعصف بأعدائه.
٤٨ــ صحبة على دَخَل: أي على ريبة.
٥٠ــ المَعْجَزَةُ: العَجْزُ والضعف.
٥١ــ غاض: جفّ. انفرجت: اتسعت. الخُلْف: الخلاف.
٥٢ــ شانَ: ضد زانَ. معتدل: مستقيم.
٥٣ــ ينجع: يفيد. سَبَقَ السَّيْفُ للعَذَلِ: يريد القتل، والمثل معروف.
٥٤ــ السؤر: ما بقي من الماء في الإناء بعد الشرب.
٥٥ــ لُجُّ البحر: معظم مائه. الوَشَلُ: الماء القليل يقطر من جبل.
٥٦ــ الخول: الرُّعاة، والعبيد والحشم والأتباع. الواحد خائل وخَوَليٌّ.
٥٩ــ لو فطنت له: لو فهمته. اربأ بنفسك عن كذا: أجِلَّها وأَسْمُ بها عنه. الهَمَلُ: الإبل المتروكة ترعى بلا راعٍ.